كتاب
الغاية من رفع الراية

لمؤلفه

عبد الله بن العباس الجراري الرباطي

مفتش التعليم العربي بالمغرب الأقصى

الطبعة الأولى

سنة ١٣٧٢ - ١٩٥٣

مطبعة الأمنية

شارع المامونية - بالرباط

كتاب

الغاية من رفع الراية

لمؤلفه

عبد الله بن العباس الجراري الرباطي
الكاتب بالاعتاب الشريفة
ومفتش التعليم العربي بالمغرب الاقصى

الطبعة الاولى
سنة ١٣٧٢ - ١٩٥٣

مطبعة الأمنية
شارع المامونية - بالرباط

CR
115
.A33
J37

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على حامل لواء العز المكين وعلى آله وأصحابه المستميتين تحت رايات الهدى وأعلام الحق المبين . أما بعد فهذا كتيب مفيد حول ﴿ الراية المغربية وتاريخها ﴾(١) إذ كثيراً ماترد الاسئلة فى هذا الصدد من أبناء

---

١) الراية ـ العلامة المنصوبة لكي يراها الناس ـ علم الجيش .. وتكنى ام الحرب وتكون اكبر من اللواء ، وسمي اللواء لواء لانه يلوى لكبره، فلا ينشر الا عند الحاجة ، جمع ألوية ، وألويات ، وهناك البند العلم الكبير، فارسى معرب جمعه بنود ، وهناك الدرفش ـ اسم راية «لفريدون» ويقال له ـ درفش كاوه ، وكاوه اسم حداد من اصبهان كان الضحاك قتل ابناً له لعلته فأخذ الجلدة التي يقي بها ساقيه من شرر النار ونصبها على عود وجعلها راية فاجتمع اليه من قتل الضحاك اقاربهم وانتزعوا الملك منه واعطوه لافريدون فتيمن بتلك الجلدة ورصعها بالاحجار الثمينة ، والدرفش بلغة الفرس الراية ، وكانت لم تزل منصوبة على راسه ،ولهذا يقال التاج ايضاً واليه يشير البديع الهمذاني في قوله:

تعالى الله ماشاد ❁ وزاد الله ايمانى
أإفريدون في التاج ❁ أم الاسكندر الثاني؟

الوطن المغربي الكريم ، ولا ما يرجع اليه فى استمداد هذا التاريخ الماجد للعلم المغربي الخفاق بينما نجد للراية العثمانية تاريخاً مجيداً بقلم الكاتب ـ احمد تيمور ـ الشيء الذي دعا الجراري لنشر هذا البحث العلمي حول رايته المغربية ، وإن كان بحثاً قصيراً فى نفسه فلا يخلو من جدوى كانت عصارة استطلاع طويل.

كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ألوية ـ رايات ـ غالبها سود ، وفى بعض الاوقات تتخذ رايات صفر وأكثر منها الاعلام البيض ، جاء فى الاصابة لدى ترجمة سعد بن مالك الازدي عن ابن يونس وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وعقد له راية على قومه سوداء وفيها هلال أبيض. وشهد مصر وله بها عقب ، فيؤخذ من هذا أصل رسم صورة الهلال فى الراية الاسلامية ، وترجم فى الاصابة ـ لمزيدة المصرية ـ فقال: ذكرها أبو نعيم وأخرج عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد رايات الانصار وجعلها صفراء ، وفى طبقات ابن سعد أن وفد سليم لما ورد على النبي صلى الله عليه وسلم قالوا اجعل لواءنا أحمر وشعارنا مقدم ، ففعل ذلك بهم ، وذكر الاستاذ محيى الدين الخياط فى دروسه التاريخية ، أنه لا يعرف بالتدقيق ما كانت عليه ألوان

الرايات فى أيام العرب قبل الاسلام ، ولكن الذي تذكره كتب التاريخ أنها كانت سوداء (بلون العقاب) ، ولهذا كانوا يسمونها ـ راية العقاب ـ وكذلك كانت راية النبي ، وذكر بعضهم أنه كان له أيضاً ألوية بيضاء .

أما المضريون فقد اتخذوا العمائم الحمر والرايات الحمر ، يقول الاستاذ احمد أمين فى فجره ص ٧ : وقد كان العداء مستحكما بين العدنانيين والقحطانيين من قديم حتى رووا أن كلا منهم اتخذ لنفسه شعاراً فى الحرب يخالف شعار الآخر ، فاتخذ المضريون العمائم الحمر والرايات الحمر ، واتخذ أهل اليمن العمائم الصفر ، قال الجوهري : سمعت بعض أهل العلم يفسر بذلك قول أبي تمام يصف الربيع :

محمرة مصفرة فكأنها ❀ عصب تيمن فى الوغى وتمضر

﴿ كيف تعقد الالوية ﴾

كان الخليفة عمر بن الخطاب إذا وجه جيشاً إلى حرب عقد له الالوية وسلمها إلى الامراء لكل أمير راية قبلية ، وكان يقول حين يعقد اللواء : بسم الله وبالله ، وعلى عون الله ، امضوا بتأييد الله ، وما

النصر إلا من عند الله، فقاتلوا فى سبيل الله من كفر بالله ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، ولا تجبنوا عند اللقاء، ولا تمثلوا عند القدرة ، ولا تسرفوا عند الظهور ، ولا تقتلوا هرماً ولا امرأة ولا وليداً .

﴿ اللالوية شان واعتبار لدى الدول ﴾

للدول فى إحداث الرايات سر دقيق ، ومغزى سام ومعنى جليل . ذلك أنه اذا اجتمع قوم تحت لواء واحد ـ دل ذلك بوضوح على ارتباط قلوبهم ، بمعنى أن هذا اللواء يكون شارة على اجتماع كلمتهم ، واتحاد قلوبهم مما يصبحون به كالجسد الواحد يألف بعضهم بعضاً أشد من ائتلاف ذوي الارحام ؛ واذا كانوا فى معركة القتال لا ييأسون من الظفر مادام لواؤهم منشوراً ؛ بل تقوي همتهم ويشتد عزمهم . والعكس اذا سقط اللواء ، فيبيتون موضوعاً للخوف والرهبة ، ينهزم بعضهم ويتبدد الآخر بخلاف ما إذا كان علمهم مرفوعاً خفاقاً مزدهياً تبتهج به نفوسهم فتأخذهم شدة الفرح والبسالة، وتتسلط على أعدائهم هزمة الرعب؛ فمن جراء هذه الظاهرة الرهيبة يستميت الشجاع الكمي حاملا

الرايةَ فى سبيل المحافظة عليهـا حتى النفس الأخير . وقصةُ جعفر ابن أبي طالب رضى الله عنه يوم (مؤتة) لا كبر دليل على قيمة العلم وشرفه ، وذلك أن النبي عليه السلام لما جهز عسكر (موتة) أمر عليه (زيد بن حارثة) وقال : أميركم زيـد . فان قتل فأميركم (جعفر بن أبي طالب) فان قتل ، فاميركم عبد الله بن رواحـة الانصاري ، فان قتل فسيفتح الله على يد رجل من المسلمين وأشار بيده الى « خالد بن الوليد » .

فلما التقوا مـع الروم وقتل زيـد بن حارثة أخذ الراية « جعفر » فقاتـل حتى قطعت يـده اليمنى ، فاخذهـا بشمالـه فقاتل حتى قطعت شماله ، ثم احتضن الراية وقاتل حتى قتـل ويحكى انه وجد فى جسمه يوم قتل أربـع وخمسون ضربة بالسيف وقد رمز ابن الونان للقصة إذ قال :

وان حملت راية الامر فكن ... كجعفر أودع ولا تستبق
قد قطعت يداه يوم موتة ... ولم يدعها لكمي سوحق
لكنه احتضنهـا حبالهـا ... فيـالـه من سيد موفق

ولله رد شاعر الحماسة اذ يقول :

لنا دولة لهـا صولة ... اذا جولة عدت لاتهن

لنا راية لها آية اذا غاية بدت لا وهن

فللراية من اثارة الشعور فى النفوس، والتأثير على القلوب ما للموسيقى العسكرية التي تنعش أرواح الجنود، وتحثهم على الاقدام والشجاعة كما ذلك أو أكثر فى مناظر الالوية وتموجها، فانها تحدث فيهم دواعي العزة وتجلب لاعدائهم الدهشة والفتور، من أجل ذلك كان لجميع الامم السالفة والدول الماضية آلات موسيقية وأعلام عديدة. نعم. لم يكن فى زمنه عليه السلام موسيقى بل اعلام فقط والى الاعلام العربية القديمة المكونة من الالوان التالية: الاحمر، والاسود، والابيض، والاخضر التي تناولها ملوك المسلمين فى الماضي يشير الشاعر فى روعة وحماس:

سود وقائعنا حمر مواضينا خضر مرابعنا بيض أيادينا.

وفى عصر ملوك الطوائف بالاندلس وجه أحد بني هود بسرقسطة ببيعته لخليفة بغداد ـ فأجابه داعياً له وباعثا اليه بشعار العباسيين ـ اللباس الاسود والاعلام السود (١) وقال فى ذلك

---

١) كان علم الخلافة اسود، عليه بالكتابة البيضاء «محمد رسول الله» وكان ولي العهد العباسي في اواخر القرن الرابع، وكذلك امراء الاطراف يسير بين يديهم علمان: لواء ابيض وراية سوداء. انظر تاريخ ابى المحاسن طبعة ليدن ج ٢ ص ٣٥.

الشعراء ماشاءت لهم القريحة ، ومنهم الهيتم القسري المغربي وكان عظيما فى الارتجال، وممن حضروا لانشاء الهيتم المذكور - ابراهيم ابن سهل وكان شاباً صغيراً فاندفع قائلا للشاعر: يمكنك أن تزيد بيتاً فى قصيدتك فقال له وماهو؟ قال ابن سهل هو:

أعلامه السود إعلام بسؤدده كأنها بجبين الدهر خيلان

فبادر الشاعر المذكور قائلا: أرويته أم أنشأته ؟ قال له أنشأته الآن . فالتفت الى الحاضرين وقال لو عاش هذا لكان شاعر الاندلس !

يقول فيلسوف المؤرخين العلامة ابن خلدون : وأما تكثير الرايات وتلوينها وإطالتها فالقصد به التهويل لا أكثر ، وربما يحدث فى النفوس من التهويل زيادة فى الاقدام وأحوال النفوس وتلوناتها عزيمة . ثم إن الملوك والدول يختلفون فى اتخاذ هذه الشارات ، فمنهم مكثر ومنهم مقلل بحسب اتساع الدولة وعظمها . فأما الرايات فإنها شعار الحروب من عهد الخليقة ، ولم تزل الامم تعقدها فى مواطن الحروب والغزوات ، ولعهد النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده من الخلفاء ، وأما قرع الطبول والنفخ فى الابواق - فكان المسلمون لاول الملة متجافين عنه تنزهاً عن غلظة الملك ، ورفضاً

لاحواله واحتقاراً لابهته التي ليست من الحق فى شيء حتى إذا انقلبت الخلافة ملكا، وتبجحوا زهرة الدنيا ونعيمها، ولابسهم الموالى من الفرس والروم أهل الدول السابقة وأروهم ما كان أولئك ينتحلونه من مذاهب فى البذخ والترف كان مما استحسنوه اتخاذ الآلة فأخذوها وأذنوا لعمالهم فى اتخاذها تنويهاً بالملك وأهله. فكثيراً ما كان العامل صاحب الثغر أو قائد الجيش يعقد له الخليفة من العباسيين أو العبيديين لواءويخرج إلى بعثه أو عمله من دار الخليفة أو داره فى مواكب من أصحاب الرايات والآلات، فلا يميز بين موكب العامل والخليفة إلا بكثرة الالوية وقلتها أو بما اختص به الخليفة من الالوان لرايته - كالسواد فى رايات بني العباس فإن راياتهم كانت سوداً حزناً على شهدائهم من بني هاشم، ونعياً على بني أمية فى قتلهم، ولذلك سموا المسودة.

ولما افترق امراء الهاشميين وخرج الطالبيون على العباسيين فى كل جهة ومصر، ذهبوا إلى مخالفتهم فى ذلك فاتخذوا الرايات بيضاً وسموا المبيضة، لذلك سائر أيام العبيديين، ومن خرج من الطالبيين فى ذلك العهد بالمشرق كالداعي بطربستان وداعي صعدة أو من دعا إلى بدعة الرافضة من غيرهم كالقرامطة.

ولما نزع المامون عن لبس السواد ، وشعاره فى دولته،عدل إلى لون الخضرة فجعل رايته خضراء ، وأما الاستكثار منها فلا ينتهي إلى حد ، وقد كانت آلة العبيديين لما خرج العزيز إلى فتح الشام خمسمائة من البنود، وخمسمائة من الابواق؛وأما ملوك البربر بالمغرب من صنهاجة وغيرها فلم يختصوا بلون واحد بل وشوها بالذهب واتخذوها من الحرير الخالص ملونة، واستمروا على الاذن فيها لعمالهم ، حتى إذا جاءت دولة الموحدين ومن بعدهم من زناتة قصروا الآلة من الطبول والبنود على السلطان وحظروها من سواه وجعلوا لها مركباً خاصاً يتبع أثر السلطان فى مسيره يسمى « الساقة » وهم فيه بين مكثر ومقلل باختلاف مذاهب الدول فى ذلك ، فمنهم من يقتصر على سبع من العدد تبركا بالسبعة كما هو فى دولة الموحدين وبني الاحمر بالاندلس. ومنهم من يبلغ العشرة والعشرين كما هو عند زناتة . وقد بلغت فى أيام السلطان أبى الحسن فيما أدركناه مائة من الطبول، ومائة من البنود ملونة بالحرير منسوجة بالذهب ما بين كبير وصغير . ويأذنون للولاة العمال والقواد فى اتخاذ راية واحدة صغيرة من الكتان بيضاء وطبيل صغير أيام الحرب لا يتجاوزن ذلك .

واما دولة الترك لهذا العهد بالشرق فيتخذون أولا راية واحدة عظيمة وفى رأسها خصلة من الشعر يسمونها ـ الشالش ـ والجتر وهى شعار السلطان عندهم . ثم تتعدد الرايات ويسمونها السناجق واحدها سنجق ١) وهى الراية بلسانهم :وأما الطبول فيبالغون فى الاستكثار منها ويسمونها الكوسات ويبيحون لكل أمير أو قائد عسكر أن يتخذ من ذلك ما يشاء الا الجتر فانه خاص بالسلطان. وأما الجلالقة لهذا العهد من أمم الافرنجة فى الاندلس فأكثر شأنهم اتخاذ الالوية القليلة ذاهبة فى الجو صعداً ومعها قرع الاوتار من الطنابير ونفخ الغيطات يذهبون فيها مذهب الغناء ، وطريقه فى مواطن حروبهم . هكذا يبلغنا عنهم وعمن ورائهم من ملوك العجم . «ومن آياته خلق السماوت والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين»

ولنعد للواء المغرب ، ذلكم العلم الاحمر الخفاق الذى اضيف اليه أخيراً أيام السلطان المقدس ـ والد مولانا المنصور بالله ـ مولانا يوسف برد الله مضجعه ـ الخاتم السليماني بحجة امتيازه عن باقى

---

١) وعرف هذا عند ارباب الزوايا حيث أطلقوا على أعلامهم المتخذة للزينة والتبرك في زعمهم (خروجاً عن الغاية) هذا الاسم: « سنجق »

الاعلام، فأصدر المولى يوسف رحمه الله بذلك ظهيراً شريفاً، والا فراية المغرب حمراء كالراية الزنجبارية (لنا راية حمراء تندب حظها)

والالوية تداولتها الدول المغربية على اختلاف نزعاتهم.

﴿ رايات دولة الموحدين ﴾

كانت لهذه الدولة رايات متعددة، حتى كانوا ينصبون راية على رأس كل مائة جندي يتقدم الكل العلم الابيض المكتوب عليه « لا إله إلا الله . محمد رسول الله . لاغالب إلا الله »

وجاء فى صبح الاعشى للقلقشندي فى المقصد الثالث من الطبعة الثانية حول ملوك بني عبد الحق من بني مرين أثناء المقصد الرابع الذي قسمه إلى عشر جمل، ذكر فى الجملة السادسة : كيفية العلم المغربي وقتئذ فقال فى صفحة ٢٠٦ من الجزء الخامس تحت عنوان « شعار السلطان بهذه المملكة » منها علم أبيض مكتوب فيه آيات من القرآن يسمونه ـ العلم المنصور ـ كما فى افريقيا، وربما عبر عنه هؤلاء « بسعد الدولة » يحمل بين يديه فى المواكب، ومنها اعلام دونه مختلفة الالوان تحمل معه أيضاً . وفى أواسط

شعبان ١٣٤٨ رأيت مثال راية السلطان الصالح المجاهد أبي سعيد يعقوب بن عبد الحق المريني من الحرير المنسوج بالذهب من العمل المسمى « بالزردخان » مؤرخة بفاتح محرم ثاني عشر وسبعمائة وطوقت بخط كوفى نصه : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم آمنت بالله وحده ، ياأيها الذين آمنو هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم إلى قوله : ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » وبالخط المغربي فى طوق بعد هذا : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمومنون (وقوله تعالى) عزيز عليه ماعنتم إلى قوله : وهو رب العرش العظيم » وبطرة الراية المذكورة فى أسفلها بخط مشرقي جميل مانصه : هذا العلم للمقام الكريم السلطان سيدنا ومولانا الملك المنصور الاجل الامام أمير المسلمين وخليفة رب العالمين أبو سعيد عثمان بن مولانا العابد الزاهد المحلي (كذا) هو أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبدالحق عمل بمدينة (كذا) حرسها الله فى شهر محرم مفتتح عام ثانى عشر وسبعمائة » وربط الاطواق الثلاثة المحيطة مربع به دوائر هلالية الشكل جميلة بداخل نصفها (لاإله إلا الله محمد رسول الله) مكرر ذلك مرتين ، وفيما بين الطرة والاطواق المحيطة بالراية سطر دقيق الكتابة كتبت فيه

خاتمة سورة البقرة : ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا إلى (القوم الكافرين) .

وهذه الراية مودعة ببلاد الاسبان فى إحدى كنائسها من عهد وقعة الجزيرة الخضراء التي انكسرت فيها قوة السلطان (أبى الحسن المريني)

ومن العناية بالراية وعلو شأنها بين الدول ماذكره أبو عبد الله العثماني المدعو الوزير فى رحلته لبلاد الاسبان سنة ١١٠٢ هـ ناقلا عن تاريخ أبى الرازي فى اخبار الاندلس - أن مسجد الرايات بالجزيرة الخضراء إنما سمي بذلك، لان العرب الذين فتحوا الجزيرة الاندلسية لما فرغوا منها أودعوا راياتهم بالمسجد المذكور فبقيت هناك يتبرك بها أوقل يشاهد فيها رمز عظمة الفاتحين لتلك الديار من العرب. (وتلكم البركة على الحقيقة).

الدولة السعدية

فى عهد هذه الدولة كان من جملة أنظمتها - أن جيش الاصباحية ينقسم إلى كتيبتين عظيمتين تسير احداهما ذات اليمين والاخرى ذات الشمال، أما الموكب الذي يرفع اللواء الاعظم الابيض المدعو

باللواء المنصور، كما دعي بذلك فى الدولة المرينية وهو علامة على شعار الدولة ـ يكون على رأس المنصور يساق من خفه. وهناك ألوية كثيرة ذات ألوان مختلفة.

وعندما غزا المنصور السعدي السودان وفتح مدينة ـ كاغو ـ وقتل سلطانها ـ اسحق ـ أقيمت الافراح وأخرجت المدافع بالنفط وتسابقت الخيول، وأطعم الناس عدة أيام، وتبارى الشعراء فى قصائدهم المدحية، فكان من بين القصائد المرفوعة إلى المنصور قصيدة كاتب الدولة أبي فارس عبد العزيز الفشتالي قال:

جيش الصباح على الدجى متدفق ❀ فبياض ذا لسواد ذلك يمحق
وكأنه رايات عسكرك التي ❀ طلعت على السودان بيضاً تخفق
لاحت وافقهم ليال كله ❀ كعمود صبح فى الدجا يتألق

﴿ الدولة العلوية الشريفة ﴾

لهذه الدولة الفاخرة رايات مختلفة اللون والتطريز لاتزال تحمل بين يدي الملك وخلفه، ومنها لهذا العهد المعاصر وقبله ـ الراية الحمراء التي كانت تطلع مرفرفة بأبراج العدوتين: الرباط وسلا كبرج ابن عائشة الذي أسس فى دولة المولى اسماعيل

بوسط مقبرة (العلو) من الطرف الموالي للبحر ، و برج الصراط، و برج خنزيرة، و برج قصبة الرباط ،وبابراج سلا كذلك كانت الرايات عبارة عن أكسية حمراء قانية تطلع كل صباح وتنزل عشية ولقد أثبت القنصل الفرنسي بآسفي فى تاريخه المغربى المكتوب سنة ١٧٠٠ م صورة الرايات التي كانت تطلع بسوق القناصل بالرباط ومرساه ، وذلك فى الجزء المتعلق بمرسى العدوتين .ويوجد بالمكتبة العامة للحماية باللغة الفرنسية ، والراية هي الراية حمراء قانية كما أثبتها الكاتب الحر « توفيق المدني » فى تأليفه « تقويم المنصور » لسنة ١٣٤٣ ه من بين رايات سائر دول العالم بالوانها الممتازة لدا كل حكومة،والتغيير الحادث فى العلم المغربي بوضع الخاتم السليماني فيه ـ كما أشير اليه قبل ـ إنما وقع عند ماحمت دولة فرنسا المغرب ؛ غير أن اختيار الحمرة فى الراية المغربية إنما جاء من دولة الاتراك التي استقر علمها الاخير على لون الحمرة بالهلال والنجمة، بعد ما كان أبيض ثم أخضر من جراء الاحتكاك السياسي القريب فإن دولة تركيا كانت تحكم الجزائر الشقيقة بل كانت استولت على فاس الفيحاء أيام السعديين مدة قليلة خطب لها على منابره؛ وعلاوة على ذلك فإن عبد الملك وأخاه احمد المنصور السعديين اللذين حلا

بتركيا فراراً من اخيهما وطلباً لفكاك رأس أبيهما قد طبعا على عوائد عثمانية ـ مدنية وعسكرية وأنت ترى حالة المغرب لما رجعا اليه كيف انقلبت رأساً على عقب.

والحقيقة أن عبد الملك أراد بالمغرب إذ ذاك نهوضاً يتناسب وما شاهده كأخيه فى أسفارهما من قوى الدول ونظمها ، وليس ببعيد أن يكون فى جملة تلك النوايا الصالحة اتخاذ الراية الحمراء ـ وإن توجهت عليه أثناء نهضته الجديدة انتقادات مرة ، فلا بدع فى ذلك ما دام شأن رجال الاصلاح فى حركاتهم الجديدة يلاقون الشدائد، ويركبون الاهوال أمام شعوبهم البسيطة .

﴿ العناية بالعلم فى المغرب ﴾

إن للعلم المغربي الدمي اللون لعناية كبرى ماضياً وحاضراً فقد كان يعلق بالزوارق الكبار (القوارب) والبواخر الصغار (رموك) حينما تخرج من مرسى الرباط قاصدة البحر المحيط لارشاد السفن والمراكب الشراعية، أوعندما يركب بها موظف مخزني أو قنصل من قناصل الدول ، ولا يقتصر فى رفع العلم وتعليقه على هذه المواقف السياسية البحرية فحسب ، بل كان يرفع

مرفرفاً فى أجواء البحرية لدى موسم ركب الحجاج المغربي إذا تألف ، ولا شك أن المظهر هذا ديني فخم يتميز المغاربة أثناءه بعلمهم الاحمر الخفاق بين بقية أعلام الامم الاسلامية ، لسر سامي ، هو أن يتعارف الكل ويقصد هذا ذاك والعكس ، وتلكم الغاية الكبرى من إقامة موسم الحج الاكبر كل سنة ، واستمر الحال على هذه الظاهرة السارة إلى عصر المولى سليمان العلوي رحمة الله عليه .

وهذا ملكنا المفدى « سيدي محمد بن يوسف » حفظه الله يبعث مع وفد الحجاج أعلاماً خاصة بجلالته ، يضعها الوفد فى منازل الوحي بالحرمين الشريفين ليلا ، ومن مميزات سنة ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م أن الوفد المغربي حمل معه الراية المغربية الحمراء ذات الخاتم الاخضر ينصبها فى محطاته مرفرفة خفاقة فى أجواء البقاع المقدسة وغيرها .

وقد سقطت فى يد الكاتب الجراري (صورة) تاريخية ضمت حفلة هائلة بمدينة طنجة بمناسبة قدوم « غليوم » لزيارة المغرب والسلام على ملكه المفدى المولى عبد العزيز اكتست فيها المدينة الطنجية حلة جميلة من حلل الزينة ، كانت الرايات على

اختلاف ألوانها تخفق فوق البنايات الضخمة وفي عرض الطرق والشوارع وفي مقدمتها راية المغرب الحمراء، وذلك بتاريخ ٣١ مارس سنة ١٩٠٥م

﴿ الاشادة بالراية الحمراء بالاندلس ﴾

جاء في الاحاطة الغرناطية لابن الخطيب ص ٢٠ من نسخة الاسكوريال لدا ترجمة محمد بن محمد الشديد المالقي « يكنى أبا عبد الله شاعر مجيد حوك الكلام ولا يقصر عن درجة الاعلام، رحل إلى الحجاز فطال بالبلاد المشرقية ثواؤه، وعميت أنباؤه، وإلى هذا العهد ٧٧٠هـ قال: وقفت على قصيدة بخطه عرضها نبيل ومرعاها غير وبيل تدل على نفس ونفس وإصالة قبس، وهي :

لنا في كل مكرمة مقام ❀ ومن فوق النجوم لنا مقام

روينا من مياه المجد لما ❀ وردناها وقد كثر الزحام

ويقول فيها :

وتحت الراية الحمراء منا ❀ كتائب لا تطاق ولا ترام

بنو نصر وما أدراك ماهم ❀ أسود الحرب والقوم الكرام

إذا شرعوا الاسنة يوم حرب ❀ فحقق أن ذاك هو الحمام

أبياتها ٣٣ يمدح بها السلطان أبا الحجاج يوسف بن الاحمر ملك غرناطة من بني نصر من ذرية سعد بن عبادة الانصاري.

واكتفى ابن الخطيب بذكر القصيدة فى الترجمة ولم يزد عليها شيئاً ونقل الترجمة من كتاب «الاكليل» له وتلك عادته فى الادباء ينقل تراجمهم من الكتاب المذكور أو من «الكتيبة الكامنة» فيستغني عن إعادة ترجمتهم من جديد بالاحاطة. وقوله وإلى هذا العهد - يعني زمن اشتغاله بتأليف الاحاطة وهو يومئذ وزير غرناطة لملكها - الغنى بالله - أبي عبدالله المرموز اليه بعدد ٧٧٠ مع كونه استمر يؤلفها إلى سنة ٧٧٣ حسبما ذلك فى ترجمة بعض علمائها المترجم لهم فيها، فها أنت ترى الراية الحمراء شعار الجند الاندلسي فى حروبه فى المائة الثامنة، الشيء الذى يبرهن لنا فى ضوح عن أقدمية استعمالها عند الدول الاسلامية.

وللفقيه العلامة السيد عبد القادر بن شقرون فى موشح له يعارض به موشح أبي حيان الغرناطي مطلعه:

قد رضع الاغصان، درمن المزن، لذا كسا البستان، ملابس الحسن وطوق الاغصان، مرونق النور، إذا أسندت اخبار، من نسمة الخير وكلل الازهار، بجوهر القطر، وقد تثني البان، اليانع الغصن فخلص السلوان، من قبضة الحزن،

ويقول فى الدور الثاني منه:

كأنما النعمان ، اليانع اللون ، علم ارجوان ، فوق القنا اللدن اهـ . من الغصن الرطيب مما لم يشمله نفح الطيب ، ويظهر أن النفس تشوقت لموشح أبي حيان المعارض : فها مطلعه :

ان جن ليل داج وخانتنا الاصباح
فنورها الوهاج يغني عن الاصباح
سلامة تبدو كالكوكب الازهر
مزاجها الشهد وعرفها عنبر
ياحبذا الورد منها وإن أسكر
قلبي منها قد هاج فما تراني صاح
عن ذلك المنهاج وعن هوى يا صاح

وهي طريقة تتضمن نسيباً لطيفاً ، ومنتزعاً ظريفاً ؛ اشتمل عليها وعلى الشقرونية قبلها كتاب « الغصن الرطيب مما لم يشمله نفح الطيب » .

وأنشد لسان الدين بن الخطيب فى كتابه « اللمحة البدرية فى الدولة النصرية » لشيخه الحكيم أبي زكرياء يحيى بن هذيل من قصيدة يوجد فى بيت منها ذكر البنود الحمر قال :

بحيث البنود الحمر والاسد الورد كتائب سكان السماء لها جند

ومنها فى وصف آلة النفط (المدافع)

وظنوا بأن الرعد والصعق فى السما
فخاق بهم من دونها الصعق والرعد
غرائب أشكال سما هرمس بها
مهندمة تأتي الجبال فتنهد
ألا أنها الدنيا تريك عجائباً
وما فى القوى منها فلا بد أن يبدو

وقد كدنا نحيد عن الموضوع حيال مجانى التاريخ الادبى الشهية لكن حفزنا للاندفاع فى بحبوحة أندلسية الطريقة ـ مالمسناه ونلمسه فى جنباته من البرهنة على لونية العلم وحمرته وعتيق تاريخها المجيد .

وبينما القلم يجول حول هذا البحث القيم ، إذا يحث طريف تطلع به علينا إحدى الصحف بتاريخ ١١ جمادى الثانية عام ١٣٦٢ هـ الموافق ١٥ يونيه سنة ١٩٤٣ م بعنوان « تاريخ الراية الامريكية»: إن يوم رابع عشر يونيه كان موعد إحياء ذكرى تلك الراية فاتخذ اليوم عيداً وطنياً قرر الاحتفال به الرئيس « ولسون » سنة ١٩١٦م وأخذت البلاد باجمعها منذ ذلك العهد

تحيي هذه الذكرى بانتظام و بروح الخشوع، على أن هذا التاريخ لم يتخذ صدفة بل اختير تذكاراً لمثله من سنة ١٧٧٧ م و كان نهاية العام الاول لقرار اتخذه «المؤتمر الامريكي» وبه قضي - أن راية الولايات المتحدة يجب أن تكون من ثلاث عشر شقة مستطيلة واحدة؛ حمراء تتلوها أخرى بيضاء ويعلوها جميعاً ثلاث عشرة نجمة فى شقة زرقاء، إلى ما جاء أثناء الكلام على سر ألوانها؛ الابيض للصفاء والنقاء، والاحمر للكفاءة والاقتدار، والازرق للعدالة والانصاف.

وهذا السر المستمد من لون الحمرة هو أسمى ما تحمل عليه لونية راية المغرب الحمراء بدل حملها على لونية الدم المتطير منه حيث لا طيرة فى الاسلام. يحيى رمز الامة المغربية منتصراً خفاقاً:

عش هكذا فى علو أيها العلم فإننا بك بعد الله نعتصم

الاحتفال برفع الراية المغربية

﴿ فوق القصر الملكي العامر ﴾

فى ٢٧ جمدى الثانية عام ١٣٦٦ هـ الموافق ١٩ مايو سنة ١٩٤٧ م شاءت همة صاحب الجلالة مولانا الملك - دام نصره وتاييده - بعد

ما تم بناء الجناح الجديد فى القصر الملكي العامر بالعاصمة الادارية أن يدشن ذلك برفع راية المغرب المظفرة فوق واجهة البناية الجديدة ، وقد حضر جلالته بنفسه ؛ مرفوقاً بصنوه صاحب السمو مولاي الحسن وأفراد الاسرة الملكية الكريمة حفلة رفع الراية الميمونة وعندما وصل جلالته إلى الردهة الخاصة التى ألقى فيها خطاب عيد العرش الاخير حيته موسيقى الحرس الملكي بالنشيد المولوي ، ثم أخذ أفراد من الحرس فى رفع الراية ، بينما كانت الموسيقى تعزف نشيد العلم ، وأفواج المتجمهرين خارج القصر يصفقون تصفيقاً حاداً متواصلا ، وعلى اثر ذلك عزفت موسيقى الحرس النشيد المولوي مرة ثانية ورجع مولانا الملك يفيض غبطة وانشراحاً .

وإلى هذه الظاهرة الملكية السارة يشير الشاعر الاديب محمد بن عبد الله العثماني :

ايتها الراية

عارضي الشمس جمالا واملاءي الدنيا جلالا
بصبا النصر وباسم الله رفرفت اختيالا

منية النفس فداء ... يبعد العلق منالا
عن يد آثمة تا ... لف غصبا وابتذالا
أملا احييت قد جـ ... ـل بداء ومآلا
وجعلت النوح لحناً ... وقلبت الحال حالا
كيمياء أنت لا ما ... يدعي قوم محالا
رفرفى أيتها الرا ... ية سكراً ودلالا
إن للنصر لراحاً ... ورياحاً تتوالا
فاغنمي منه كما شئـ ... ـت شمولا وشمالا

❀ ❀

كيف أصبحت هنيئاً ... إذ عليك الليل طالا
ولكم فيه تكبـ ... ـدت من الهم وبالا
وترديت شحوب الصـ ... ـب لم يؤت وصالا
وتجشمت من الاهـ ... ـوال ما يوهى الجبالا

....

كيف أصبحت وقد شمـ ... ـت من الفجر تلالا
رفرفى أيتها الرا ... ية تيهاً واختفالا
بقلوب خفقت نحـ ... ـوك حباً واقتبالا

فى حسوم واقفات لك طوعاً وامتثالا
هاتفات بنشيد الحـ ـق سلماً ونزالا
إن للحق لصوتاً يملأ النفس انفعالا

❀ ❀

....

أقبل العهد الذي عـ ـنك روى الدهر وقالا
والذى عاهدك الحـ ـظ على النصر وآلا
حين أطللت من الشـ ـرق على الكون هلالا
تملئين البر والبحـ ـر ضياء يتلالا
تنشرين النور حتى نلت فى ذاك الكمالا
ثم جاءت فترة فيـ ـها اختفى عنك وزالا
حكمة يعلمها اللـ ـه جوابا وسؤالا

....
....

❀ ❀

إن للحظ مآبا إن للدهر سجالا
رب عان حل عنه الله فى اليأس عقالا
وسليب الحول بز الـ ـمدعي الحول انتحالا

سنة القهار تعيي من تعاطي الاحتيالا
ودعي أيتها الرا ية فوضى واحتلالا
وانزعي عنك قميصاً بالياً يقلق بالا
وتجلى فى جديد راق صنعاً ومثالا
وانشري منك لشعب صلي النار ظلالا
تعب فى السير لما جد فيه لينالا :
أمل العرش المفدى ورضى الله تعالى

ونفس الظاهرة هذه وقع من مولانا محمد الخامس دام عزه فى رفع راية المغرب الخفاقة بقصره المنيف بالدار البيضاء بمناسبة الحفل الرائع الذي أقامه جلالته لنجاح صاحب السمو الملكى ولى العهد المحبوب مولانا الحسن حفظه الله فى الدورة الاولى - (للباكلوريا الاولى) أواخر شهر يونيه سنة ١٩٤٧ . وفى تلكم اللحظة التاريخية السارة جادت قريحة الاخ الاديب الشاعر محمد ابن المهدي العلوي بلامية متمكنة عامرة حول اعتلاء رمز المغرب الميمون قال :

لك يالواء العز يارمز العلا أرواحنا تهفو وتخفق اولا
لما رفعت الى عنانك ساميا بيمين من يبني المكارم معقلا

خشعت اليك قلوبنا وعيوننا ... وانهلت الآماق دمعا مسبلا
دمعا من الذكرى المريرة مزجه ... ومن العهود الباسمات تهللا
لما رفعت براحة يمنى انجلى ... قتم الاسى عن امة لن تنكلا
ضحكت لها تلك العهود فحدقت ... آمالها واستنجدت مستقبلا
ايام كنت مرفرفا بنجودنا ... حرا وكنت بعزنا متهللا
نسجتك أرواح البطولة معلما ... بالميزات الساطعات مفصلا
حتى انتشيت من الدماورويت ... منك الثنايا للشهامة منهلا
يارمز وحدة أمة وجهادها ... ونفوذها حكما يفوق المنصلا
اليأس كان مخيما فى صدرنا ... حتى رفعت مرفرفا فاستؤصلا
انا بخاتمك المضرج نقتدي ... ونسد من مهج لصونك فيصلا
عزل نعم! ايماننا لك جنة ... وعزيمة فولاذها لن يفللا
نحيا بظلك ساجبين دروعها ... وهتافنا التكبير حولك رتلا
الله أكبر ما أجل صراعها ... والبغى تحت لوائها كم جندلا
يا كلمة حدت البنود الى الوغى ... خفاقة فوق السهى نحو العلى
هاتي نشيدك نصطفيه تحية ... تهدى الى رمز البلاد متى اعتلى
يا أيها العلم اخفقن بافقنا ... حرا وصافح فى سماك الاجدلا
لوح بمغزاك الدقيق لامة ... عقدت عليك عزائما لن تحللا

لوح بلونك فى السما فجروحنا لازال لونك فوقها متمثلا
لوح بـه نحو العدالة علها ترعيك سمعا او تناصر أعزلا
لوح به نحو العروبة وادعها ترع الاخوة والوشائج والولا
إنا لنهتف من صميم قلوبنـا تحيا على رغم الزمان مبجلا
دم رافعاً رأس الكرامة عالياً وانشر على هام النجود القسطلا
دم باسم القسمات لامتجهما توحى لنا الامل العريق المجتلى
دم آمناً فى ظل عرش محمد بانى حصونك معقلا ثم معقلا
عش شامخاً عش عاليا عش باعثا روح الابآء موحدا ومكتلا
عش ماجداً مستوحيا من هديه قبسا يضىء لجندك المستقبلا
عقدتك يمنى عاهل لعزيمة امضى وانفذ فى الامور وأكملا.

تحية العلم الوطني

على صورة البلاد، على آية المجد على ضامن النصر، على عربون الظفر، على محيي الامل، على رايـة الشرف، على محرك النفوس، على جامع القلوب على علم الاوطان، الف تحية وسلام!

الف تحية وسلام عليك أيها العلم المقدس!

تجسمت فيك روح الوطن المحبوب، فباتت تنشد أغـاني الشرف

وأناشيد الحمية كلما حرك الهواء طياتك، وتمثلت صور التفاني الوطنية كلما تلاعبت أشعة الشمس بالوانك.

على بنودك الزاهرة، يقرأ المارق آيات النقمة واللعنة، ويتلو الوطني الصادق الفاظ المجد وسطور الشرف، فان قصيدة الوطنية قد رسمت على نسيجك بحروف خفية.

حاكتك يد الامهات وطرزتك يمين الاخوات، وزركشتك دماء الآباء والاجداد، فبات الوطن وكل ما نحب فى الوطن ممثلا فى طياتك.

فسلام عليك!

دق النفير فكهرب القلوب، ضجت الطبول وصهلت الخيول، رفعت البنود وشحذت الحدود. عبست الحياة وتلمظت الشفاه، صاح صائح المنية بين القوم:

(ان يومى هذا اليوم)

قصفت المدافع فقذفت الموت من فوهاتها. ودوت القنابل فحملت الدمار مع كراتها. صفر الرصاص وبرقت بيض الصفاح رفعت راية الوطن ونشرت بنودها فوق رؤوس الجنود. فسارت أمام الصفوف تخفرها البنادق والسيوف وتحوم حولها

المهج والنفوس

هنا انفتحت فوهة النار . فرأى الجندي فيها الموت الزؤام، وهو سائر بل طائر إلى النصر أو إلى الهلاك . نظر نظرة أخيرة إلى علم الوطن و تمنى أن يكون له الكفن ، وزأر كالاسد الضرغام .

(الف تحية وسلام عليك ياعلم بلادي !

إلى الامام إلى الامام)

فى ميدان القتال تساقطت الابطال حول العلم كما يتساقط فى الخريف ورق الشجر .

جريح طريح على الارض مبضع الاعضاء، مضرج بالدماء تضم يده الواحدة جرحه من حيث تخرج حياته مع دمه ، ويده الاخرى مرتفعة نحو السماء تطلب الاغاثة .

يئن وينوح ولا مغيث ولا معين ، لايسمع سوى زفرات تتصاعد من صدور تتلظى كصدره ، وتنهدات تخرج من أحشاء تقطع كأحشائه .

تتجه أفكاره إلى منزل بعيد . غادر فيه حليلة محبوبة تترمل بفقده وأطفالا صغاراً تتيتم بموته .

تسيل من عينيه دمعتان فتتحرك منه المآقي . يشعر بقشعريرة

فترجف أعضاؤه يتراءى له كل شيء مصبوغاً بالدم . يدوي فى أذنه صوت رهيب . يرفع رأسه الملتهب تبرق عيناه فتخرقان الظلام المتلبد . يلوح له علم الوطن فى ليل الموت كالنجم المضيء فيلفظ مع روحه هذه الكلمات :

(عليك سلامي الاخير ياعلم البلاد)

رجع العساكر من ميدان الكفاح ، وقد تركوا فى السهل فريسة هائلة لملك الموت؛ شبع الرصاص من لحمهم، وارتوت السيوف من دمهم ، فعادت ألوفهم مئات ومئاتهم عشرات .

خرقة بالية تتقدم الصفوف . مزقتها القنابل وسودها البارود إنما هذه الخرقة هي راية الوطن . إنما هذا النسيج الممزق هو علم البلاد .

عند مرآه تختلج القلوب فى الصدور الأبية . وترتفع الايدي إلى الرؤوس المنحنية وتصيح الافئدة قبل الافواه :

(على الراية المحبوبة سلام)

ونحن أيها العلم المحبوب ناخذ على أنفسنا العهد أن نخدمك بكل قوانا . وإن اقتضى الامر نفديك بالمهج ونموت هاتفين :

(سلام عليك ياعلم البلاد . سلام عليك)(١)

---

١) كلمة انطون الجميل

ولنختم هذه الغاية باثبات نشيد العلم الجديد الذي يتأكد القيام لدى انشاده ، ونصه :

﴿ ياعلمي ﴾

ياعلمي ❀ ياعلم العرب اشرق واخفق ❀ فى الافق الازرق

ياعلم

يانسيج الامهات ❀ فى الليالي الحالكات
لبنيهن الاباة ❀ كيف لانفديك
كل خيط فيك ❀ دمعة من جفنهن
خفقة من صدرهن ❀ بسمة من ثغرهن

ياعلم

سر إلى المجد بنا ❀ وابن منا الوطنا
قد حلفنا للقناة ❀ حلفة ترضيك
إننا نسقيك ❀ من دماء الشهداء
من جراح الابرياء ❀ دمت للمجد سناء

ياعلم

مراجع

١) الاصابة
٢) طبقات ابن سعد
٣) فجر الاسلام
٤) دروس التاريخ الاسلامي
٥) ابن خلدون
٦) الاحاطة لابن الخطيب
٧) صبح الاعشى
٨) الوزير أبو عبد الله الغساني فى رحلته لبلاد الاسبان
٩) انطون الجميل

الفهرست

٢) سبب التأليف

٣) كانت على عهد الرسول ألوية

٤) كيف تعقد الالوية

٥) للالويـة شأن واعتبار لدى الدول

١١) إضافة الخاتم السليماني الاخضر إلى العلم المغربي الاحمر

١٢) رايات دولة الموحدين

١٤) رايات الدولة السعدية

١٥) رايات الدولة العلويـة الشريفة

١٧) العناية بالعلم فى المغرب

١٩) الاشادة بالرايـة الحمراء بالاندلس

٢٣) ما ترمز اليه لونية الالوية من الاسرار

٢٣) الاحتفال برفع الراية المغربية فوق القصر الملكي العامر بالرباط

٢٧) « « « « « « « « بالبيضـاء

٢٩) تحية العلم الوطني

٣٣) نشيد العلم

صفحة	سطر	خطا	صواب
٣	٩	عن ابن يونس	قال ابن يونس :
٣	١٦	مقدم	مقدما
٦	١٦	ولله رد	ولله در
٨	١٢	عزيمة	غريبة
٨	١٤	من الخليفة	من عهد الخليقة
٩	١٥	المبيضة ، لذلك	المبيضة لذلك
١٠	١٧	لايتجاوزن	لايتجاوزون
١١	٩	الغناء ، وطريقه	الغناء وطريقه
١١	١٠	ورائهم	وراءهم
١٤	٧	العثماني	الغساني
١٤	٨	ابن الرازى	الرازى
١٧	١١	الدمي	الدموي
٢٠	١٤	اذا اسندت	اذ اسندت
٢٠	١٠	فى ضوح	في وضوح
٢١	١١	ومنتزعا	ومنزعا
٢٨	٦	بالميزات	بالنيرات

سيصدر قريباً كتاب فى الحضارة العربية يحمل لقب :

« اسبقية العرب فى الفنون والصناعات »

« واستاذيتهم لأوربا »

يشتمل على ازيد من مائتين وخمسين صفحة

وبه صور أثرية فنية علمية

للمؤلف - فانتظروه